

الفصل الرابع

هدف التربية المسيحية

كان كل ما سبق الحديث عنه هو الافتراضات الأساسية التي ينبغي أن تشكل أساس هذه الفلسفة أو أية فلسفة أخرى. وها نحن الآن بصدد استكشاف العملية الفعلية لتحديد شكل هذه الفلسفة وعناصرها. إن نقطة البداية هي أن نكتب صيغة لفظية تُعبر عن ماهية الهدف أو الغاية من هذه العملية التربوية. وللأسف الشديد، فإن القول المأثور القديم "إذا كنت تُصوّب باتجاه لا شيء، فمن المرجح أن تُصيبه في كل مرة" هو قول صحيح. لذلك، وكما يقول "لاوسون"، ينبغي على المرء أن يبدأ وهو عاقد العزم على تحقيق غاية ما.^{٩٤} فحينما تعرف وجهتك، عندها فقط يمكنك أن تُعيد تتبع الخطوات اللازمة وصولاً إلى نقطة البداية. فـينبغي أن يكون هذا الهدف واضحاً ومُحدداً لأنه، كما يُحذّر "جانجيل": "ما من شيءٍ يمكنه إعاقة النظام التربوي في الكنيسة أو المدرسة... فيما يعلّق بالطلبة أكثر من الأهداف المنحرفة التي قد تكون أو قد لا تكون موجودة في أذهان القيادة التربوية."^{٩٥} أما حينما يكون هناك هدف مُحدّد بوضوح، عندها فقط يستطيع كل شخص معني بالتربية المسيحية في تلك الكنيسة أو المدرسة أن يقود خدمات في نفس الاتجاه.

وحيث أن هذا كله يدور حول التربية المسيحية، فـينبغي أن يكون الهدف الموضوع هو هدف الله للكنيسة، أي أنه ينبغي أن يكون مستمداً من الكتاب المقدّس مباشرةً. وهناك العديد من المواضيع المختلفة التي يمكن للمرء أن يلجأ إليها لمعرفة ماهية هذا الهدف الكتابي. وفيما يلي بعضاً من هذه الأهداف:

رومية ٨: ٢٩ -- منذ الأزل، كانت مشيئة الله المسبقة هي أن يكون جميع أولاده "مُشابهين صورة ابنه".

٢ تيموثاوس ٣: ١٦-١٧ -- الله أعطى الأسفار المقدّسة للإنسان "لكي يكون إنساناً الله كاملاً، متأهباً لكل عمل صالح".

^{٩٤} مقتبسة عن محاضرات صفيّة للدكتور "ميشيل س. لاوسون" في مساق "التدريس في التعليم العالي المسيحي" (Teaching in Christian Higher Education) في عمان، الأردن، مايو/أيار ٢٠٠١.

^{٩٥} Gangel, *Building Leaders*, p. ٣٥.

أفسس ٤: ١١-١٣ -- المسيح نفسه أعطى أشخاصاً موهوبين من رعاة ومُعلّمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة ومساعدة المؤمنين على التّضج في الإيمان.

كولوسي ١: ٢٨ -- كان هدف الرسول بولس لكل من يسمع تعليمه هو التّضج.

متى ٢٨: ١٩-٢٠ -- المسيح أمر جميع التلاميذ أن يتلمذوا أشخاصاً آخرين بحيث يتعمدون ويحفظون جميع وصايا المسيح.

لقد جاءت هذه الآيات على لسان اثنين من أعظم المعلّمين في العهد الجديد ألا وهما الرب يسوع، والرسول بولس اللذان لا يتركان مجالاً للشك في هدف التعليم المسيحي. ويُخصّص "داونز" ذلك بقوله: "التربية المسيحية، بمفهومها البسيط، هي خدمة إيصال المؤمن إلى التّضج في يسوع المسيح."^{٩٦} وفي حين أنه يمكن القول بأن الهدف أو الغاية النهائية هي التّضج الروحي، إلا أنه يمكن فهم هذه العملية بصورة جميلة من خلال عنوان كتاب "هندريك" عن التعليم: التعليم لتغيير حياة الناس.^{٩٧} ويوضح لنا "اليناور دانيال" هذه الفكرة بقوله:

غاية التعليم الكتابي هي إحداث تغيير في حياة المتعلّم إلى أن يصل إلى التّضج في المسيح - وهي مهمّة تستغرق الحياة بأكملها. ويتم تحقيق هذا التّضج حينما يعرف المرء كلمة الله ويفهمها بصورة تودّي إلى تغيير سلوكياته: بأن يحمل ثراً، وينمو في المعرفة، ويصبح أقوى في الاحتمال والصبر.^{٩٨}

هذا هو ما كانت تعنيه عملية التلمذة التي تحدّث عنها الرب يسوع في متى ٢٨. ومن المؤسف حقاً أنّ الكثيرين في الكنيسة قد نظروا إلى هذه "المأمورية العظمى" على أنها مجرد قاعدة أو أساس كتابي للإرساليات والتبشير. صحيح أنّها كذلك؛ فالتبشير هو الذي يُحدّث أعظم تغيير يحتاجه المرء في حياته، لكن في الوقت نفسه ينبغي النظر إليها على أنّها تعني ما هو أكثر من التبشير. فالتبشير ما هو إلا نقطة البداية لتغيير مستمر مدى الحياة. وكما يقول "جانجيل" فإنّ هذه "المأمورية" تأمر بالتبشير والتعليم، مع كون التعليم مساوياً للتبشير في الأهمية على أقلّ تقدير، بل على الأرجح أنّه يفوقه أهميةً.^{٩٩} فلم يكن يتوجّب تعليم التلاميذ الجديد وصايا المسيح فحسب، بل كان ينبغي أيضاً تعليمهم أن يمارسوها. وهذا هو المستوى التطبيقي

^{٩٦} Downs, p. ١٦.

^{٩٧} Howard Hendricks, *Teaching to Change Lives* (Portland: Multnomah Press, ١٩٨٧).

^{٩٨} Eleanor Daniel et al., *Introduction to Christian Education* (Cincinnati: Standard Publishers, ١٩٨٠), p. ٩٣.

^{٩٩} Kenneth Gangel, "What Christian Education Is," in Robert Clark, Lin Johnson, and Allyn Sloat, editors, *Christian Education: Foundations For the Future* (Chicago: Moody Press, ١٩٩١), p. ٢١.

حيث يحدث التغيير في حياة المرء . فالتطبيق هو الطريق الوحيد الذي يُمكن أن يقود المرء إلى النَّضج الروحي -- أي أن يعيش الحق، لا أن يكفني بمعرفة فحسب .

ما هو شكل النَّضج الروحي؟

ما هي علامات النَّضج الروحي؟ للأسف الشديد، ليس هناك اتفاق كبير على هذا الأمر كما يُمكن للمرء أن يتصوّر . وقد يكون "داونز" قد أصاب قلب الحقيقة حينما قال بأن "هناك تعريفات للنَّضج الروحي تبلغ في كثرتها كثرة الفرق والجماعات المسيحية".^{١٠٠} وفيما يلي بعض التعريفات التي يقترحها البعض للنَّضج الروحي: المعرفة الكتابية، أو عمق أو أسلوب العبادة، أو الجدوية المفرطة، أو التجاوب الاجتماعي، أو التعبير عن المواهب، أو ربح النفوس.^{١٠١} لكن ما نحتاج إليه هو دراسة مفهوم "النَّضج" في العهد الجديد . ويُبين "لاوسون" أن مثل هذه الدراسة لهذه الكلمة وهذا المفهوم تضع أمامنا ما لا يقل عن أربع علامات مُميّزة . وهكذا، فالنَّضج عند التلاميذ يظهر من خلال ما يلي:

الثبات اللاهوتي (أفسس ٤: ١١-١٤)

لقد أعطى المسيح أشخاصاً موهوبين للكنيسة - البعض رؤساءً، والبعض أنبياء للعهد الجديد، والبعض مُبشّرين، ورعاة، ومُعَلِّمين - وذلك لمساعدتنا على أن نصبح "ناضجين". ثم يأتي وصف النَّضج بمزيدٍ من التفصيل في الآية الرابعة عشرة على أنه الوقت الذي لا نعود فيه "أطفالاً مُضطربين ومُحمولين بكلِّ ربحٍ تعليمي". وهذا يتفق أيضاً مع تطبيقات الأصحاح الخامس من الرسالة إلى العبرانيين الذي يُساوي بين النَّضج وبين المقدرة على تناول الطعام الروحي "القوي". وبالتالي، فإن أحد جوانب النَّضج المسيحي هو أن يكون المرء مُتّقفاً لاهوتياً، وأن يكون قادراً على تقييم القرارات، والضغوط، والأحداث، والتجارب وفقاً لمعايير الله دون تردّد . لاحظ أنه ينبغي على خدمة التعليم في الكنيسة أو المدرسة المسيحية أن تقود إلى الاستقرار والثبات العقائدي.

^{١٠٠} Downs, p. ١٧.

^{١٠١} المرجع السابق.

الخدمة الروحية (أفسس ٤: ١١-١٧)

بعد ذلك، يُلمح المقطع السابق نفسه إلى جانب آخر من التوضيح الروحي. فقد أعطى المسيح معلمين موهوبين روحياً للكنيسة من أجل تكميل أو تأهيل القديسين (أي تلاميذهم) بحيث يتمكنوا هم أيضاً من القيام بعمل الخدمة. والعهد الجديد واضح في تبيان أنه ينبغي على جميع المؤمنين أن ينخرطوا في شكلٍ من أشكال الخدمة لخدمة المسيح. وبحسب ١ كورنثوس ١٢ و ١ بطرس ٤، فقد أعطى الروح القدس موهبةً ما لكل مؤمن لكي يخدم بها المسيح بصورة فعالة. وبالتالي، فمن العلامات الأخرى للتوضيح الروحي هو أن ينخرط المؤمن فعلياً في الخدمات التي عينه الله وأعدّه للقيام بها. أما المؤمنين الذين لا يشاركون في أية خدمة (سواء بصورة رسمية أو غير رسمية) فهم يفتقرون للتوضيح إما بسبب الجهل أو الخوف أو عدم الطاعة.

نمط الحياة الأخلاقية (عبرانيين ٥: ١٤)

يصف هذا المقطع الكتابي التوضيح بأنه الانتماء إلى أولئك "الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر". فالأشخاص الناضجون هم أولئك الذين يعيشون حياة قداسة. لذلك، ينبغي علينا أن نعلم عن القداسة الفردية والجماعية في الكنيسة. فينبغي أن يكون فهم المرء لما هو صواب وما هو خطأ واضحاً تاماً الوضوح من خلال الخيارات التي يقوم بها يومياً.

علاقات المحبة (١ تيموثاوس ١: ٥)

شارك بولس بأن الغاية النهائية لتعليمه هي "المحبة من قلب طاهر، وضمير صالح، وإيمان بلا رياء". ويرتبط هذا الجانب من التوضيح بالعديد من المقاطع الكتابية في العهد الجديد: متى ٢٢: ٣٧-٣٩؛ يوحنا ١٣: ٣٥؛ غلاطية ٥: ٢٢-٢٣؛ ١ كورنثوس ١٣: ١؛ ١ يوحنا ٤: ٢٠؛ يوحنا ٢١: ١٥-١٨. فأسمى شكل من أشكال التوضيح الروحي هو أن نحب الله فوق كل شيءٍ آخر، ومن ثم أن نظهر هذه المحبة تجاه الآخرين. وهكذا، فإن المؤمنين الذين يفتقرون لعلاقة المحبة مع الله، أو مع إخوانهم المؤمنين، أو حتى مع الخطاة هم مؤمنون غير ناضجين.

ما هي الغايات الكتابية للتُضحِ الروحي؟

تُظهر لنا دراسة الكنيسة الأولى أن الرُّسل كانوا منخرطين في أربعة أنشطة رئيسية لقيادة المهتمين للمسيح إلى علامات التُضحِ التي تحدثنا عنها قبل قليل. وهذه الأنشطة الأربعة مذكورة في أعمال ٢: ٤٢-٤٧ وهي على النحو التالي: العبادة، والتعليم، والشركة، وخدمة التعبير. ولم يكن التبشير عنصراً منفصلاً لأنه من الواضح أنه كان يتخلل جميع هذه الأنشطة التي كانوا يقومون بها. وبما أن هذه هي الأنشطة التي أتاحت للمؤمنين الأوائل أن يُحققوا هدف التُضحِ الروحي (أي الثبات اللاهوتي، والخدمة الروحية، ونمط الحياة الأخلاقي، والعلاقات القائمة على المحبة)، فسوف يكون من المفيد أن تقدّم صورة أكثر تفصيلاً عن الكيفية التي ينبغي فيها أن تظهر هذه الصفات في برامج التربية المسيحية في الكنائس وكنيات اللاهوت العربية في وقتنا الحاضر.

العبادة

كلمة "عبادة" تحمل فكرة إظهار التقدير، أو الاستحقاق، أو التبجيل لشخص ما بسبب شخصه أو بسبب ما فعله. وبالتالي، فالعبادة تعني، ببساطة، إظهار التوقير والتبجيل لله.^{١٢} وبالنسبة للشخص المسيحي، ينبغي أن تكون العبادة مثل المحرك بالنسبة للمركبة - أي أن تكون هي العنصر الجوهرية والأهم.^{١٣} فهل تتعجب إذن من أن العبادة هي محور أول وصية من الوصايا العشر التي أعطها الله لشعبه (خروج ٢٠: ٢-٥)؟^{١٤} وقد وضع الرب يسوع العبادة في صميم الوصية العظمى حينما قال بأن محبة الله كانت، في الحقيقة، تلخيصاً للكتاب المقدس (متى ٢٢: ٣٧). ومن الواضح أن الكنيسة الأولى فهمت أن العبادة ينبغي أن تكون جزءاً لا يتجزأ من برنامج التلمذة لديهم. لهذا فإننا نرى العبادة واضحة وجليّة منذ اليوم الأول للكنيسة حيث أخذت شكل "تسبيح الله"، و"الصلاة"، و"المواظبة كل يوم في الهيكل"، وربما أيضاً في عبارة "يكسرون الخبز".^{١٥}

^{١٢} John MacArthur, *The Ultimate Priority* (Chicago: Moody Press, ١٩٨٣), p. ١٤.

^{١٣} المرجع السابق، ص ١٣.

^{١٤} قال د. ل. مودي ناصحاً: "لو التزم الناس بالوصية الأولى لكانت إطاعة الوصايا التسع الباقية قد جاءت بصورة تلقائية. لكن بسبب عدم أمانهم في تنفيذ الوصية الأولى فقد فشلوا في تطبيق باقي

الوصايا". مقتبسة في كتاب "بول لي تان": Paul Lee Tan, *Encyclopedia of ١٥.٠٠٠ Illustrations* (Dallas: Bible Communications, Inc., ١٩٩٨), p. ٣٣٠٦. ^{١٥} يعتقد "هومر كمت" أن وجود الأداة في (τη κλασει του αρτου) يشير إلى ما هو أكثر من الأكل فحسب، وربما يشمل هذا على فكرة الاشتراك في عشاء الرب، لكنه يذكر أيضاً أن كورنثوس ١١ وأدب آباء الكنيسة يكشف عن أن الإفخارستيا كانت تُتبع بوجبة دينية. عن كتاب هومر كمت: *Jerusalem to Rome* (Winona Lake, IN: BMH Books, ١٩٧٩), pp. ٣٤-٣٥. يؤكد "ألford" أن هذا التفسير كان هو التفسير السائد في الأزمنة القديمة والحديثة على حد سواء. Henry Alford, *Alford's Greek Testament: An Exegetical Commentary*, vol. ٢ (Grand Rapids: Guardian, ١٩٧٦), p. ٢٩.

وللأسف الشديد، يبدو أن الكنيسة المعاصرة في كلِّ من الشرق الأوسط والغرب قد فقدت بصيرتها بشأن حقيقة العبادة ومكاتها اللائقة بها. يصف "توزار" العبادة بأنها الجوهرة المفقودة لدى الكنيسة، وهو يرثي غيابها قائلاً بأن ذلك "هو سبب أهون مئات الشرور الموجودة فيما بيننا".^{١٦} وهكذا، ينبغي على أية فلسفة صحيحة عن التربية المسيحية أن ترفع العبادة إلى مكاتها اللائقة وأن تجعلها جزءاً لا يتجزأ منها. لماذا؟ لأن يسوع نفسه قال بأن الأب يبحث بصورة دائمة عن أولئك الذين يعبدونه بالروح والحق (يوحنا ٤: ٢٣). وبالطبع فإن العبادة لا تتعلق بالمرافق الكنسية، بل هي أمرٌ منوطٌ بالقلب. وللأسف الشديد، يُعتبر هذا أحد أضعف الجوانب لدينا في التربية المسيحية. فينبغي على برامج التربية المسيحية أن تنشئ عابدين حقيقيين من مختلف الأعمار إن أرادت أن تأخذ تحذير يسوع إلى كنيسة أفسس على مجمل الجدّ (رؤيا ٢: ١-٧). فرغم أنه كان يبدو على هؤلاء أنهم يمتلكون جميع العناصر الأخرى في برامج التربية والخدمة الخاصة بهم، إلا أن افتقارهم للعبادة الحقيقية ("الحبة الأولى") قد جعلهم مُعرضين لنهاية مؤسفة. إن التركيز القوي على العبادة في أنشطة التربية المسيحية سيؤدي إلى تعميق محبة الأغابي (αγαπη) التي ينبغي أن تكون إحدى مؤشرات النضج الروحي.

التعليم

كان التعليم واحداً من الأنشطة الأساسية الأخرى في التربية المسيحية الرسولية. فمن المستحيل أن تتلمذ شخصاً دون أن تعلمه الحق الإلهي. وقد كان الرُّسل مُكرّسين تماماً للتعليم إلى درجة أنه في وقت لاحق، حينما تعارضت خدمة توزيع الإعانات مع وقت التعليم والتحضير، قام الرُّسل بتعيين مؤمنين آخرين موهوبين ومنقادين بالروح وأوكلوا لهم بتلك الأنشطة والخدمات الأخرى (أعمال ٦: ١-٧). وقد كان من الضروري أن يقوم الرُّسل بوضع التعليم في قمة الأولويات لأن الكنيسة كانت بدون صفحة واحدة من العهد الجديد. وهكذا، فقد كانوا يُنفذون أمر التعليم المعطى لهم في متى ٢٨: ١٨-٢٠.

وينبغي على التلاميذ في يومنا هذا أن يفعلوا الأمر نفسه. فالرسالة إلى العبرانيين توضح بأنه ينبغي على كل تلميذٍ حقيقي أن يقوم بتعليم العقيدة التي يعلم يقيناً بأنها صحيحة (٥: ١٢). لكن هؤلاء المؤمنين كانوا مُدنيين بعدم تنفيذ مهمة التعليم التي أوكلها إليهم السيد المسيح في متى ٢٨. وللأسف، فإن التهمة نفسها الموجهة إلى المتلقين الأصليين لرسالة العبرانيين يُمكن (ولابد) أن تنطبق على غالبية المؤمنين في يومنا هذا. لذلك، ينبغي على التربويين المسيحيين المعاصرين أن يدركوا أنهم يواجهون حرباً شاملةً ضد الأمية الكتابية. وقد بينت الدراسات والأبحاث المتعلقة بالتربية المسيحية

^{١٦} A. W. Tozer, *The Knowledge of the Holy* (San Francisco: Harper and Row, ١٩٦١), p. ٦.

الفعالة أن غالبية الشبيبة الذين يرتادون الكنيسة في البيئات المسيحية "لا يعرفون سوى القليل عن إيمانهم ودينهم،" وأن معرفتهم الكتابية "سطحية على نحو خطير،" مع وجود نسبة لا تزيد عن ١١ بالمائة من المؤمنين الناضجين.^{١٧٧} وما من شك أن هذه الإحصائية تُعطي صورة واضحة عن التربية المسيحية في الكنيسة المحلية الغربية رغم وجود الكثير من المصادر، والمساعدات، والفرص. وكما هو معروف فإن ١١ بالمائة هي علامة رسوب في أي نظام لمنح العلامات، لا سيما حينما يكون معدّل الحضور أعلى من هذا بكثير فيما يتعلق بفئات الشبيبة هذه.^{١٧٨} ومما يزيد من خطورة هذه المشكلة، "لا يمكن مساعدة الشبيبة الأميين دينياً في البيت أو حتى في الكنيسة إذا كان ذويهم ومعلموهم يعانون هم أنفسهم من الأمية فيما يتعلق بأسس إيمانهم؛ ويبدو أن هذا هو الواقع حيث أن شخصاً واحداً من أصل ثلاثة أشخاص لديه إيمان ناضج.^{١٧٩} إن هذه النتائج تفتقر القلوب - لا سيما في ضوء حقيقة أن هذا الهدف الكتابي تحديداً ("أي" التعليم") قد لقي عنايةً واهتماماً في التربية المسيحية أكثر من أي من الجوانب الثلاث الأخرى المذكورة هنا. فينبغي أن يؤدي هذا التعليم إلى الثبات اللاهوتي المطلوب.

الشركة

اعتمد الرُّسُل أيضاً على الشركة لمساعدتهم على تحقيق هدفهم الرامي إلى تلمذة أشخاص ناضجين روحياً. وقد كانت هذه الشركة بارزة وواضحة في هذه الكنيسة الفتية بعدة طرق. فمن السهل رؤية هذه الشركة من خلال مواظبة المؤمنين الأوائل على الاجتماع يومياً في الهيكل وفي بيوتهم. كما أنهم كانوا يواظبون على الاشتراك في الطعام أو "وليمة المحبة" التي كانت تقترن بصورة رئيسية بجزء "كسر الخبز"^{١٨٠} من الخدمة (أعمال ٢: ٤٦؛ قارن ١ كورنثوس ١١: ٢٠-٣٤). ويُمكن رؤية نتيجة هذه الشركة، والتعليم، والشركة التي تجري في هذا السياق من خلال حقيقة أنهم كانوا يفعلون ذلك "بنفس واحدة" (أعمال ٢: ٤٦). فهذا النوع من الشركة هو الذي اختبروه من سيدهم ومعلمهم يسوع المسيح.

^{١٧٧} David S. Schiller, *Rethinking Christian Education* (St. Louis: Chalice Press, ١٩٩٣), p. ٨٧.

^{١٧٨} تبلغ نسبة حضور الأطفال من عُمر رياض الأطفال إلى ٦ سنوات ٦٠%، ونسبة حضور الأطفال من عمر ٧-٩ سنوات ٥٢% في خدمات التربية المسيحية. المرجع السابق، ص ١٢.

^{١٧٩} المرجع السابق، ص ٨٧، Schuller.

^{١٨٠} كما أشرنا سابقاً فإن "كمت" يقول بأن وجود أداتين في التركيب "كسر الخبز" (τῆ κλασει του αρτου) "يشير إلى ما هو أكثر من مجرد تناول الطعام" ويصلح كإشارة إلى مادة الزيت التي كان يتم تناولها مع وجبة مقدّسة. Homer Kent, *Jerusalem to Rome* (Winona Lake: BMH Books, ١٩٧٢), p. ٣٤. يرى البعض أن كسر الخبز والصلاة هما جزء من هذه الشركة حيث أنه لا يوجد "kai" تُعَرَّف العبارة التي تتحدث عن كسر الخبز والصلاة.

خدمة التعبير

والآن، فإن هذا الجانب الأخير من الأهداف الكتابية هو الذي يقوم فيه الطالب بتطبيق وصايا وأوامر المسيح التي تعلمها . وبالتالي، فإن هذا هو الوقت الذي يقوم فيه التلميذ نفسه بالتصرف كتلميذ في مستوى المهارة أو في المستوى التطبيقي من التعلم^{١١٥} المرتبط بمعنى هذه الكلمة (μαθητής) (تلميذ) والتي تعني "طالب أو مُتعلِّم". وهذا هو التعلُّم الحقيقي. وفي هذا المقطع الكتابي (أعمال الرُّسل ٢) يمكننا أن نرى هذا التعبير في المواظبة اليومية على الاجتماع، والصلاة، وفي العطاء لتسديد احتياجات كل عضو في هذا الجسد الجديد . وهكذا، فقد كان إيمان هؤلاء جزءاً عاملاً وظاهراً من حياتهم – كما يجب أن يكون عليه الحال في حياة أي تلميذ حقيقي.

يشتمل هذا الهدف الكتابي على مُسمّى ثنائي الجانب – التعبير والخدمة . فجانِب التعبير يُركِّز على الطُّرق المختلفة التي يعيش فيها التلميذ الآن التعليم الذي تلقاه . وهذا المصطلح هام للغاية في العملية التربوية حيث أن الطريقة الوحيدة لقياس ما إذا كان هنالك تعلم حقيقي يحدث أم لا هي من خلال التغيُّرات في المواقف والسلوك.^{١١٦} إنَّ التعبير هو ثمر التعليم الكتابي الذي يُزرع في قلب التلميذ الحقيقي . ويمكن لهذا التعبير أن يأخذ أشكالاً عديدةً . فهنا، كان التعبير يأخذ شكل الاجتماع معاً (الكنيسة)، والعطاء، والصلاة، والتسبيح، لكنه يمكن أن يشمل أيضاً أي تطبيق صحيح للحق الكتابي .

أما الجانب الثاني لهذا الهدف التطبيقي فيمكن رؤيته هنا باعتباره خدمة . وفي الواقع أن الخدمة هي شكل آخر من أشكال التعبير – لكن الخدمة تستخدم هنا لتمييز نوع التعبير الذي يُسهل الخدمة الروحية عن غيرها . والخدمة هي في واقع الأمر أحد أهمّ العلامات المميّزة للتُضحّج الروحي المذكورة في العهد الجديد . فلا يمكننا ملاحظة التُضحّج الروحي بمعزل عن خدمة جسد المسيح.^{١١٧} كما أن برامج التربية المسيحية التي لا تُفضي إلى جعل المؤمنين منخرطين في خدمة ملك الملوك إنما هي برامج تُخطئ إصابة الهدف، وهي تستدعي عودة القادة إلى مرحلة التخطيط من جديد .

^{١١٥} Richards, *Encyclopedia of Bible Words*, p. ٢٢٦.

^{١١٦} Lee, p. ٤٥.

^{١١٧} Michael S. Lawson, "Biblical Foundation for a Philosophy of Teaching," in Gangel and Hendricks, eds., *Handbook on Teaching*, p. ٦٦.

كذلك، يجدر التنويه إلى أن خدمة التعبير بارزة أيضاً في هذا المقطع الكتابي (أعمال الرُّسُل ٢) في التبشير الذي كان يحدث آنذاك (٢: ٤٧). وقد كانت هذه علامة مُميّزة أخذت تتكرّر كثيراً في سفر أعمال الرُّسُل. وهكذا فالتبشير هو النتيجة الطبيعية للتلاميذ المؤهلين بصورة جيّدة. فينبغي علينا أن نُبشِّرَ كي نُعلِّمَ، ومن ثَمَّ أن نُعلِّمَ كي نُبشِّرَ.^{١١٨}

ينبغي على قادة التربية المسيحية أن يفهموا أنهم مسؤولين عن مساعدة الطلبة على رؤية الإمكانيات المتاحة، وتوفير الفرص لهم للتعبير والخدمة حيث أن تطبيق ذلك بصورة عملية في حياتهم لن يتم بصورة تلقائية.^{١١٩} وينبغي عليهم أن يدركوا أيضاً أن خدمة التعبير هذه لا يمكن أن تحدث إلاّ حينما تعمل كل دائرة وفئة عمرية في الكنيسة وفي خدمة التربية المسيحية وفق برنامج متوازن يشتمل على جميع هذه العناصر الأربعة - مع مراعاة تجنُّب الميل للمبالغة في التركيز على التعليم.^{١٢٠} وقد لا نُخطئُ إن شَبَّهنا عملية التلمذة بعملية إعداد قالب من الكيك أو الجاتوه من حيث ضرورة وضع جميع العناصر الرئيسية ومراعاة دقة المعايير والمقادير كي نحصل على النتيجة التي نرغب بها. فإن كان أيّ عنصرٍ من هذه العناصر الأربعة مفقوداً أو إن لم يتم استخدامه بالمقدار المطلوب فلن ترى في نهاية المطاف تلاميذ ناضجين روحياً. لهذا، فإنّ الأسئلة التي ينبغي أن نُقيها حيّةً في أذهاننا عند إعداد أيّ برنامج للتربية المسيحية هي:

- ما الذي سنقوم به لإعداد عابدين حقيقيين؟
- ما الذي سنقوم به لإعداد تلاميذ يعرفون كتابهم المقدّس حقّ المعرفة ويتمتّعون بنهمّ للمعرفة والتطبيق؟
- ما الذي سنقوم به لخلق شركةٍ محبّةٍ مع جميع المشاركين؟
- ما هي الطرق التي سنستخدمها لتشجيعهم على التعبير عن إيمانهم والخدمة من خلال التبشير والتلمذة؟

يرجى ملاحظة أن هدفنا، وسمات النُضج، والأهداف الكتابيّة لتحقيق ذلك هي أشياء غير قابلة للمساومة. وهي لن تتغيّر لأنّ كلمة الله لا تتغيّر. لهذا، ينبغي علينا على الدوام أن تثبتى فلسفتنا وبرامجنا التربويّة المسيحية وأن نُقيّمها في ضوء مستوى تطبيقنا وإتقاننا لهذه الجوانب.

^{١١٨} كان هذا هو شعار القس ج. آيرفين أوفرهولزر، مؤسس هيئة "شراكة تبشير الأطفال (Child Evangelism Fellowship) حسب ما هو وارد في: *Teaching Children Effectively: Level ١ Manual* (Warrenton, MO: CEF Press, ١٩٩٠), p. ١.

^{١١٩} LeBar, *Focus on People*, p. ٤٢.

^{١٢٠} المرجع السابق، ص ٤٤.

التأثيرات الثقافية لغايات وأهداف التربية المسيحية

- ١- كما ذكرنا سابقاً، هنالك جانب ثنائي في التعليم المُغيّر للحياة - التبشير والنمو الروحي المؤدّي للتّضح. ولا نُخطئ إن قلنا بأن غالبية الكنائس الإنجيلية تختار إما هذا أو ذلك. فالبعض منها يواظب على محاولة تبشير المؤمنين في كل اجتماع، والبعض الآخر يحاول أن يجعل الأموات الروحيين ينمون. لهذا، يجب تشجيع القيادة الكنسيّة على التفكير ملياً في طبيعة الحضور في كل اجتماع أو برنامج، والتركيز على تلبية احتياجات هؤلاء الأشخاص - سواء كانت حاجتهم هي التبشير، أو النمو، أو الاثنين معاً.
- ٢- قلة قليلة من مُرتادي الكنائس في العالم العربي ينخرطون في الخدمة. فالغالبية العظمى من هؤلاء يشعرون بأن الخدمة في الكنيسة هي عمل الرّعاة والمُعَلِّمين فقط. لهذا، ينبغي أن يكون هناك مزيد من التعليم عن حقيقة المواهب الروحية وعن طرق استخدام المؤمنين لها داخل الكنيسة وخارجها. كما ينبغي تدريب الشبيبة على الخدمة وتوجيههم لبعض الفرص المحدّدة للخدمة. كذلك، ينبغي تخصيص جزء من الاجتماع الأسبوعي في الكنيسة كي يشارك المؤمنون ما يحدث معهم في خدماتهم.
- ٣- فيما يتعلّق بالعبادة، من الملاحظ أن الكثير من الخدمات الإنجيلية أصبحت تقليديّة وروتينية للغاية بحيث لم يعد هناك مكان للعبادة العفوية النابعة من أعماق القلب (باستثناء ما يحدث في خدمات الكنائس الخمسينيّة). لهذا، ينبغي التعليم أكثر فأكثر عن كيفية جعل الخدمات تعبديّة بكل ما في الكلمة من معنى، وتقديم نماذج حيّة على ذلك. وقد يكون هذا هو أحد الأسباب التي تدفع فئات الشبيبة إلى عدم حضور اجتماعات العبادة المنتظمة (حيث لا تزيد نسبة حضور الشبيبة لهذه الاجتماعات عن ١٠-١٥ بالمئة فقط).